الرِّسَـــالة ١٩٧

خلقَ اللهُ الإنسَانَ على صُورَتِه

(Arabic – God created us in His image.)

أحبّائِى.. حَديثَنا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: " **خلقَ اللهُ الإنسَانَ على صُورَتِه**"

ومِنْ سِفر التكوين الأصْحَاح الأوّل نقرأ العَدَدَ السَابع والعِشْرِينَ:

" **فخَلَقَ اللهُ الإنسَانَ على صُورتِهِ.. على صُورَةِ اللهِ خلقهُ.. ذكَراً وأنثى خلقهُمْ**.".[١]

اعتدتُ أنْ أذهَبَ إلى نَادٍ جَميل فسيح North Vancouver مُطِلٌ على ميناء يقعُ على المُحيطِ الهَادِى. وهُنَاكَ أقضِى وقتاً شيّقاً مَعَ صَديق مِنْ Holland وقدْ أنْشِئَ النَادِى لاستقبَال البَحّارَةِ ليَستَمتِعُوا فيهِ بَعْدَ عَنَاءِ الشّهُور الطويلةِ التِى يقضُونَهَا فِى عَرْض المُحيطِ فِى عُزلةٍ عَن المُجتمَع وعَنْ عَائِلاتِهِمْ وأقربَائِهِمْ وأصْدِقائِهِمْ. ويُحَاولُ البَحّارَةَ الحُصُولَ على أقصَى مِتع يشتهُونَهَا بقدْر مَا يَسْمَحُ بهِ وقتهُمْ أثنَاءَ شَحْن سُفنِهِمْ. ويقومُ النّادِى بتقديم مُسليَاتٍ بَريئة ومَشْرُوبَاتٍ وكتبٍ ومَجلاتٍ مُفيدَةٍ دُونَ مُقابلٍ. ويُوجَدُ مُتطوِّعُونَ لِلترْحيبِ بهِمْ وتقديم كلِّ مُسَاعَدَةٍ مُمكِنَةٍ لهُمْ. حِمَايَة لهُمْ مِنْ أضْوَاءِ المَدينَةِ التِى تبْهرُهُمْ. وإلا تلقفَهُمْ إبليسُ لينَحدِرَ بهِمْ إلى مَهَاوى الرّزيلةِ.[٢]

وحَدَثَ ذاتَ يَوْم أنْ دَخلَ النّادِى بَعْضُ البَحّارَةِ الصينيُّونَ ومَعَهُمْ قائِدُ سَفينتِهِمْ اليَابَانِىُّ. سَألَنِى وَاحِدٌ مِنَ البَحّارَةِ عَنْ وَطنِى الأصلِىِّ. وأرَدْتُ أنْ أختبرَهُ فسَألتهُ كَىْ يُخَمِّنَ عَسَاهُ يَصِلُ إلى إجَابَةِ سُؤالِهِ بنَفسِهِ. وفِى الوقتِ ذاتِهِ أرَدْتُ أنْ أفتَحَ بَاباً لِلحَديثِ مَعَهُ لأنّى أعلمُ أنّ البَحّارَةَ يَرْغبُونَ فِى الحِوَار مَعَ المُتطوِّعينَ. ولقدْ كَانَ ذلِكَ البَحّارُ يُحْسِنُ التحَدُّثَ بالإنجليزيّةِ نَوْعاً مَا. فسَألتهُ إذا كَانوا يَرغبُونَ فِى الجُلوس حَولَ إحْدَى المَوَائِدِ. فأجَابنِى بأنّهُمْ يُرَحبُونَ. إلا أنّ زُمَلاءَهُ لا يُحْسِنونَ التخَاطبِ بالإنجليزيّةِ بالقدْر الكَافِى. فطلبْتُ مِنْهُ أنْ يُترجمَ حَديثَنَا مَعاً إلى اللغَةِ الصينيّةِ. وأحْضَرْتُ خَريطة العَالم وسَألتهُمْ ليُشيرُوا إلى الدّولةِ التِى يَظُنّونَ أنّنِى انتَسِبُ إليْهَا. حَاولوا بَعْضَ الوقتِ وفِى النِهَايَةِ عَرفوا أنّنِى مِصْرِىُّ. وبَادَرَنِى الشّابُ بسُؤالٍ عَجيبٍ: هلْ تؤمِنُ باللهِ؟. فأجَبْتهُ بنَعَمْ. وشَجّعنِى ذلِكَ كَىْ أسْألهُ بدَورى نفسَ السُّؤال. فأجَابنِى بلا. فسألتهُ بمَاذا تؤمِنُ؟. فأجَابنِى: بنَظريّةِ التَطوّر لِدَارْوين.[٣]

وَزّعْتُ على البَحّارَةِ كَالعَادَةِ كتباً مُقدّسَة باللغَةِ الصينيّةِ. وكَانَ القائِدُ اليَابَانِى يفهَمُ الإنجليزيّة ولكِنّهُ لا يُجيدُ الحَديثَ بهَا فأعْطيتهُ كتاباً بالإنجليزيّةِ وكَانَ مُستمِعاً كبقيّةِ البَحّارَةِ. عُدْتُ للشّابِّ المُتحَدِّثُ مَعِى وسَألتهُ أنْ يُوضِّحَ لِى مَا يَعتقِدُهُ عَنْ أصل الإنسَان. فأجَابنِى بأنّ نَظريّة التَطوّرَ هَىَ مَا تعلمَهُ بجَامِعَاتِ الصِّين ومَا تعلمَهُ زُمَلاؤُهُ. وأخْبَرنِى أنّ إنكَارَ وُجُودِ اللهِ أصْبَحَ عقيدَةَ مُعْظم الجيل الحَاضِر بالصِّين. فبَدأتُ أوَضِّحُ لهُ إيمَانِى وبَدَأ يُنَاقِشُنِى وفِى نفس الوقتِ قامَ بالترْجَمَةِ. وكَانَ المَرْجعُ فِى كلِّ مَا قلتهُ هُوَ الكِتابُ المقدّسُ. وقدْ كَانَ بَيْنَ أيْديهِمْ بلغتِهِمْ. كَانَ الحَديثُ مُمتِعاً وقدْ أعْطوْا أصْغَاءً كَامِلاً واهتِمَاماً لِمَا يَسْمَعُونَ مِمّا أقنَعَنِى أنّهُم لأوّل مَرّةٍ يَسْمَعُونَ عَن اللهِ الخَالِق.[٤]

قلتُ لِلبَحّار الصينِى إنْ مَرْجعكَ كتابٌ وَضعَهُ بَشَرٌ. وهُوَ مُجْملُ أفكَار بشَريّة نَاتجَة عَنْ بُحُوثِهِ. إنّنِى أقدِّرُ العِلمَ واحترَمُ العُلمَاءَ. وأعترفُ بفَضلِهِمْ على الإنسَانيّة جَمْعَاء. فنَحْنُ مَدْيُنونَ لبُحُوثِ العُلمَاءِ والمُخترعينَ فلقدْ بَذلوا فيهَا جهْداً مُخلِصاً شَاقاً. وضَرَبْتُ مَثلاً: أنّهُمْ بالعِلم زَرَعُوا قلباً سَليماً بدَلاً مِنْ قلبٍ سقيم. وكليَة عَامِلة بَدَلا مِنْ كليَة عَاطِلة. بالعِلم أصْبَحَ العَالمُ أسْرَة وَاحِدَة مُترَابطة بعَلاقاتٍ قويّةٍ مَيْسُورَة. ولكِنّ الخَطأ الذِى وقعَ فيهِ بَعْضُ العلمَاء أنّهُمْ لِنَجَاحِهِمْ فِى الوُصُول إلى اكتشَافِ بَعْض أسْرَار الطبيعَةِ. أبَاحُوا لأنفسِهِمْ إنكَارَ وُجُودِ رَبِّ الطبيعَةِ. وهذا الإنكَارُ أثلجَ صُدُورَ المُلحِدِينَ فأخَذوا يُهلِلونَ ويُكبرُونَ. والمُلحِدُونَ عَدَدٌ لا يُستَهَانُ بهِ. وكثيرُونَ مِنْهُمْ قادَة فِى

---

[١] سفر التكوين ١: ٢٧ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] رسالة يوحنا الرسول الأولى ٢: ١٦

[٣] الرسالة إلى العبرانيّين ١١: ٦

[٤] رسالة بطرس الرسول الأولى ٣: ١٥

بلادِهِمْ. لِذا أغلقوا بَابَ المَعْرِفة الحَقيقيّةِ وحَجَبُوا نورَ الكِتابِ المُقدّس فِي مَدَارسِهِمْ وجَامِعَاتِهِمْ ولقنوا شَبَابَهُمْ دُرُوسَ الإلحَادِ. زدْ على ذلِكَ أنّهُمْ شَجّعُوا العُلَمَاءَ المُلحِدينَ واستبْعَدُوا العُلَمَاءَ الذينَ يُؤمِنونَ باللهِ الخَالِق.[1]

إنّ مَا وصل إلَيْهِ العِلمُ هُوَ قطرَة مِنْ مُحيط. وهلْ بهذِهِ القطرَة نَحكمُ بأنّ اللهَ غَيْرُ مَوجُودٍ؟. وَمَنْ يَدّعِي أنّ العِلمَ انتهَى إلى ذلِكَ الحَدِّ فى بُطُونِهِ هُوَ جَاهِلٌ. ومَا تقدِّمُهُ الجَامِعَات العِلميّة عَنْ أصل الوُجُودِ مُجَرّدُ اجتِهَادَاتٍ لِعُقولٍ بَشَريّةٍ مَحْدُودَةٍ عَاجزَةٍ. ولكِنْ يُوجَدُ بَيْنَ أيْديكمْ الكِتابُ المُقدّسُ. وَهُوَ ليْسَ كِتاباً عِلميّاً وليْسَ ثمَرَةَ عقل بشَرِيٍّ مَحْدُود. ولكِنّهُ كَلامُ اللهِ غَيْر المَحْدُودِ أوْحَى بهِ إلى بَشَر عَادِيِّينَ. لهُمْ قدرَاتٌ ومَوَاهِب مَحْدُودَة لا تميِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ. كتبُوا مَا أوحِيَ بهِ إلَيْهِمْ ليْسَ فِي سَنَةٍ ولا فِي ألفِ سَنَةٍ بلْ استغْرقتْ كتابَتُهُ آلافُ السِّنينَ. ولكِنْ حينَ تقرَأهُ فكأنّكَ تقرَأ لِكَاتِبٍ وَاحِدٍ. لأنّهُ مِنْ شَخْص وَاحِدٍ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ المَوْجُودُ قبلَ كلِّ الوُجُودِ لأنّهُ أزلِيٌّ أبَدِيٌّ.[2]

إنّ الكِتابَ المُقدّسَ يُوضّحُ أصل الوُجُودِ. وهُنَا طلبْتُ مِنْ مُستمِعِيّ البَحّارَة الصينيِّينَ قِرَاءَةَ العَدَدَ السّابعَ والعِشْرِينَ مِنَ الأصْحَاح الأوّل بسِفر التكوين وَهُوَ أوّلُ الأسْفار. وطلبْتُ مِنْ كلٍّ مِنْهُمْ أنْ يَقرَأ بلغتِهِ الصِّينيّةِ. وطلبْتُ مِنَ اليَابَانِيِّ قرَاءتَهُ بالإنجيلزيّةِ. ومِنْ صَديقِي قِرَاءتَهُ بالهُولنديّةِ. وقرَأتُ أنَا بلغَتِي العَرَبيّةِ. وأوْضَحْتُ أنّ كَاتِبَ السِّفر يُدْعَى مُوسَى النَبيّ. ولكنْ لمْ يكنْ المكتوبُ بالسِّفر مِنْ فِكر مُوسَى أوْ أقوال مُوسَى بلْ هِيَ أقوَالُ اللهِ. ورَجعتُ بهِمْ إلى إنجيل يُوحنَا الأصْحَاح الرّابع والعَدَد الرّابع والعِشْرِينَ لِمَعْرِفةِ طبيعَةِ اللهِ إذ مَكتوبٌ "اللهُ رُوحٌ". ثمّ إلى المَزْمُور التاسع والثلاثينَ بَعْدَ المِائةِ: "أيْنَ أذهَبُ مِنْ رُوحِكَ ومِنْ وَجْهِكَ أيْنَ أهْرُبُ؟. إنْ صَعَدْتُ إلى السّمواتِ فأنْتَ هُنَاكَ وإنْ فرَشْتُ فِي الهَاويَةِ فهَا أنْتَ. إنْ أخَذتُ جَنَاحَي الصُّبْحِ وَسكَنْتُ فِي أقاصِي البَحْر. فهُنَاكَ أيْضاً تهْدِينِي يَدُكَ وتمْسِكنِي يَمينكَ". ثمّ مِنْ رسَالة بُولسَ الرّسُول إلى مُؤمِنِي رُومِيَة الأصْحَاح الحَادِي عَشَرَ: "يَا لعُمْق غِنَى اللهِ وحِكمَتِهِ وعِلمِهِ. مَا أبْعَدَ أحْكَامَهُ عَن الفَحْص وطرُقهُ عَن الاستقصَاء. لأنّ مَنْ عَرَفَ فِكرَ الرّبِّ ومَنْ صَارَ لهُ مُشيراً. أوْ مَنْ سَبَقَ فأعْطَاهُ فيُكَافأ. لأنّ مِنْهُ وبهِ ولهُ كلّ الأشْيَاءِ. لهُ المَجْدُ إلى الأبَدِ أمينَ".[3]

إنّ سِفرَ التكوين الأصْحَاح الأوّل يُوضّحُ أصلَ الإنسَان وكَيْفَ خلقهُ اللهُ. لِنقرَأ مَا سَجلهُ الكِتَابُ: "فخَلَقَ اللهُ الإنسَانَ على صُورتِهِ. على صُورَةِ اللهِ خلقهُ. ذكَراً وأنثى خلقهُمْ". إنّ كِتابَ النشُوء والارتقاء لِدَاروين يقولُ: إنّ أصلَ الإنسَان قردٌ تطوّرَ. وكتابُ اللهِ يقولُ: إنّ الإنسَانَ مَخلوقٌ على صُورَةِ اللهِ. ويُختَمُ الأصْحَاح بهذِهِ الكلِمَاتِ: "ورَأى اللهُ كلّ مَا عَمِلهُ فإذا هُوَ حَسَنٌ جداً". إنّ مَا خلقهُ اللهُ بديعُ الجَمَال رَائعُ التنسيق حَسَنٌ جداً. تحَارُ فيهِ العُقولُ البَشَريّة. لسْتُ أعَارضُ نظريّة عِلميّة. ولسْتُ أعَارضُ الاجتهَادَ فِي البَحْثِ والدِّرَاسَةِ. ولكِنْ مَا أؤمِنُ بهِ هُوَ أنّ هُنَاكَ قوّة قادِرَة هِي الأعْظَمُ. تهيْمِنُ على الكَوْن بجُملتِهِ. وعلى جَميع النّجُوم والكَوَاكِبِ أقرَبهَا وأبْعَدهَا. وجَميع الكَائِنَاتِ أصْغَرهَا وأكْبَرهَا. فِي جَميع عُصُور التاريخ. لأنّ اللهَ كلِّيُّ القدْرَةِ غيْرُ مَحْدُودٍ لا ببُعْدٍ ولا بزمَن.[4]

لقدْ قالَ اللهُ عَزّ وَجلّ عَنْ ذاتِهِ وَهِيَ العُليَا: "أنَا الألفُ واليَاءُ البدَايَة والنِّهَايَة الأوّلُ والأخِرُ". فأيّهُمَا أختَارُ لِنفسِي؟ مَا جَاءَ بكِتابِ Darwin ؟ أوْ مَا جَاءَ بكِتابِ اللهِ؟ أجابونى برفض الأول وقبُول الثانِي. كَانَ حَديثاً طويلاً انتَهَى بصَلاةِ كلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. مُعلِناً إيمَانَهُ بالإلهِ الوَاحِدِ. رَاجعاً إلَيْهِ طالِباً غُفرَانَهُ. مُقِراً بصِدْق مَا جَاءَ بكِتابِهِ. وطلبُوا نسَخاً أخْرَى ليُوزِّعُوهَا وشَريط فيديُو لِحَيَاةِ السّيِّدِ المَسيح. لقدْ فرحُوا بمَعْرِفةِ مَنْ خلقهُمْ على صُورتِهِ. عَرفُوا اللهَ القديرَ الذِي أحَبّهُمْ ودَبّرَ أمْرَ خَلاصِهِمْ. وضَمَنَ لهُمْ الحَيَاةَ الأبَديّة بالنِّعْمَةِ المَجّانيّةِ بالإيمَان.[5]

ليتكَ عَزيزِي القارئ تشتَرِكُ مَعِي فِي تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ.. أسْجُدُ لِجَلالِكَ مُعترفاً بعَظمَةِ قدْرتِكَ يَا مَنْ خلقتنِي على صُورتِكَ. أسْألُكَ كَيْ تعينَ ضَعْفِي وتنيرَ طريقِي لأسلكَ حَسَبَ مَشيئتِكَ. أشكرُكَ لِحُبِّكَ الذِي غَمَرْتَ بهِ خَاطِئاً نظيرِي. آتِي إلَيْكَ مُعترفاً بكلِّ ذنوبِي. مُؤمِناً بفَاعِلِيّةِ الدَم المَسفوكِ عَنّي. لِخَلاصِي وضَمَان دُخُولِي ملكوتِكَ الأبَدِيِّ. أرفعُ صَلاتِي فِي اسْم يَسُوعَ الفادِي مُتّكِلاً على وَعدِكَ يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إلَيّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِي القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تِلكَ الرِّسَالةِ أو غَيرَهَا ستجدُ ذلِكَ فِي:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر المزامير ١٤: ١
[2] رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٥ – ١٧
[3] إنجيل يوحنا ٤: ٢٤ ، سفر المزامير ١٣٩: ٧ – ١٠ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١١: ٣٣ – ٣٦
[4] سفر التكوين ١: ٢٧ & ٣١
[5] سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٢٢: ١٣